الفصل الثالث

الصعود نحو الجماهير

ثم .. التصادم مع الحكم .

« تصبح النظرية قوة مادية عندما تتغلغل بين الجماهير » .

« لينين »

لم يكن الامر كله كلما طالعنا فى الصفحات السابقة ٠

كل ما فات كان مجرد قطـاع أو شريحة من الانشطة ٠٠ **اما الجسد** فقـد كان يمارس وبحماس عملية الاستحمام او بالـدقة عمليـة التطهـر بالانغمـاس عميقـا وسط الجماهير ٠

كانت مصر تعيش زمنـا خصبا ٠ وقـد أتقن **الشيوعيون جميعـا** وان بدرجـات متفاوتة فن الانغماس فيه ٠ الانغماس بمعنى العيش فى عمقه وليس مجرد التواجـد على سطحه ٠٠

كان سهم الحكم يصعد ٠٠ الى أعلى ٠

وكذلك كان سهم الشيوعيين ٠

الى أعلى صعد السهمان ٠٠ كل منهما يفسح الطريق للاخر ، فى تجربة رائعـة من التواجـد المتفاعل والمشترك ٠

الى أعلى صعد السهمان ٠٠ ربما كانت هناك اخطـاء من هذا الطرف أو ذاك أو منهمـا معـا لكن تجربة الصعود المشترك تظل علامة مميزة فى تاريخ مصر الحديث ٠٠ وقد أثمرت تجربة حية ونتائج مبهرة ٠٠

كيف يمكن للانسان أن يصف حالة من النهوض الوطنى والاجتماعى والجمـاهيرى العـارم ؟ الامر صعب ، فالانتقـاء **يعطى صورة جزئيـة** ، والاحـاطة بكل شىء مستحيلة ، ولا هى حتى مطلوبة فى دراسة كهـذه ، كذلك فان محـاولات الوصف سوف تكتسى طابعـا لغويا ، الفـاظا كبيرة ، قـد تكون كافية ، أو غير كافية ، أو غير موحية ، لكنهـا مجرد أوصاف ٠٠

ولهذا سنضطر الى الاكتفـاء بالنماذج ٠٠

وسنضطر الى محاولة اختصار الاوصاف ٠٠ والحديث « اللغـوى » ٠٠ وسنحاول قـدر الامكـان أن نرسم صورة ولو عامة ٠٠ حول مصر هذه المرحلة ، ليس مصر كلهـا ، وانما مجرد قطـاع من الصورة يحدد مسـار صعود السهم الشيوعى على خريطة الواقع المصرى ٠٠

٠٠ فهذا المسار ـ اجمالا ودون تفصيل ـ هو ما يعنينا ، ليس لاننـا غير معنيين بدراسة كامل الصورة ـ خاصة وانها صـورة مبهرة حقـا ـ وخاصة وانها لم تدرس بعناية بل ولم تدرس أصلا ، وكل ما كتب عنهـا ليس أكثر من أوصاف لغوية خالية من الفهم التـاريخى والعلمى والتحليلى ٠٠ أوصاف لغوية ، قـد تكون مبهرة ، ولكنها ومهما بالغت ليس مضيئة بذات القدر من الاضاءة التى كانت عليها الصورة الحقيقية ٠

الم أقل أن « الأدب اللغوى » مهمـا نشط فانه قـد يكون أحيانا أقل

اجادة فى الوصف من التحليل العلمى ·· لكننا وبرغم ايماننا بضرورة دراسة هذه الفترة الخصبة فاننا نقرر انها تبعد بنا عن موضوعنا الأصلى ، وتشتتنا وتشتت القارىء ·· فلنقف عند حدود ما التزمنا به كعنوان لدراستنا ، ولنكتف مرغمين بتخديد مسار سهمنا عبر الخريطة العامة ··

ونتوقف فى محاولة للانتقاء وهى بالغة الصعوبة ·

ثم فى محاولة للترتيب وهى ايضا صعبة ·· فكل امر قد يبدو اكثر اهمية من الاخر ولهذا فاننى سأكتفى ببعض محطات رئيسية ·· مجرد اشارات بلا تفاصيل داعيا قارئى الى مجرد التمعن فى المجمل واتخاذه اداة ديكورية يكمل بها رسم المسرح الذى سبق ان حاولنا اعداده فى الفصلين السابقين ··

نحن لا نتحدث عن التفاصيل ايا كانت اهميتها ، ولا نرصد كل ما حدث فهو مستحيل ، نحن فقط نكمل الصورة ·· ونهيىء مسرح الاحداث لكى يبدو كما كان فعلا ··

* * *

كان الاسهام الشيوعى فى معركة بورسعيد علامة مميزة فى تاريخ مصر ·· وفى تاريخ الشيوعيين ·

وهو علامة مميزة ليس فقط من زاوية امساك الشيوعيين بالقضية الرئيسية ، وتقدمهم لصفوف النضال الوطنى ضد العدوان ·· وانما كان علامة مميزة أيضا من جانب الحكام ··

فمنذ ما قبل العدوان ·· وفيما بعد التاميم ، بدأت تنمو علاقات بين النظام وبين الشيوعيين ، وعلى وجه التحديد الحزب الموحد ·· حيث تجمعت مجموعة من أعضاء وعضوات الموحد واصدقائه حول ممثلين للنظام كانوا قد تمركزوا فى منطقة الاسماعيلية والشرقية فى محاولة لخلق نقاط ارتكاز شعبية مسلحة لمواجهة العدوان ان وقع وتتكون الصورة من ممثلين للنظام مثل كمال رفعت ، لطفى واكد ، وعناصر يمكن اعتبارها « همزة وصل » بين النظام وبين الموحد ·· مثل « محسن لطفى السيد » ·· وضباط شيوعيين مثل محمود المانسترلى ·· وتجمعات من الاعضاء والكوادر التى بدأت تتدرب على عجل لتتقن ما لم يتقنه الشيوعيون من قبل وهو العمل المسلح ·· وبدأت تتمركز فى القرى الاستراتيجية لتعمل وسط فلاحيها وفلاحاتها بهدف خلق حزام شعبى مسلح وناهض فى هذه المنطقة الاستراتيجية بما يجعل تقدم العدوان نحوها صعبا بالنسبة له ·· ومكلفا ان أقدم عليه ·

ولأول مرة ايضا تسهم فى هذا النشاط عضوات من الحزب الموحد ليجدن الامكانية لعمل نسائى فلاحى مثمر فى هذه المناطق(١)

ولأول مرة ايضا يسمح النظام فى مصر بالتعاون رسميا مع الشيوعيين فى مجال العمل المسلح ..

يقول أحمد الرفاعى فى مذكراته عن هذه المرحلة .. ان الطرفان .. ضباط ورجال مخابرات مصريين . وهو وكوادر الموحد كانا يتعاملان فى بداية معركة بور سعيد بحذر شديد ثم .. « وبعد فترة يعود الضابط الشيوعى محمد منير موافى من مقابلة مع عبد الحكيم عامر بعد أن أوضح له عن طريق أحد كبار الضباط أن مشاركة الشيوعيين فى المعركة أصبحت شيئا أساسيا وضروريا . عاد اليوزباشى منير موافى بهذه الموافقة التى بددت تردد البعض من الضباط تجاه مشاركتهم أى الشيوعيين فى المعركة ، وكان الشرط الاساسى لمحاربة الانجليز ، هو ألا تكون شيوعيا .. ولو تذكروا فداحة الهزيمة العسكرية فى بور سعيد لكان عليهم أن يتعرفوا على الحقيقة وهى انهم كانوا يحاربون الانجليز والفرنسيين وعينهم الحذرة على العمال والفلاحين ، يخشون تطور المعركة وانتقالها الى صفوف هؤلاء ، حيث سيفرض ذلك أبعادا اجتماعية على معركة التحرير »(٢)

.. وهكذا يلتقى الخيطان فى نسيج واحد .

للمرة الاولى منذ أن التقيا قبل ثورة يوليو فى مناخ خاص ومحدود وفى اطار خاص هو تنظيم الضباط الاحرار .. للمرة الاولى يلتقى ضباط من رجال عبد الناصر .. مع كوادر شيوعية ، وكان لهذا اللقاء آثارا بعيدة على الطرفين .. فقد ظل هؤلاء الضباط يحملون للشيوعيين مكانة خاصة حتى فى فترة هبوط السهم .. وظل الشيوعيون يرمقون فى دهشة هؤلاء الشبان المتقدين حماسا ووطنية .. والذين يتحدثون بعفويه عن الاشتراكية .. والفقراء الخ ..

ولن أطيل . فقط أريد أن أنبه القارىء الى أهمية أن يحتفظ فى ذاكرته بهذه الملاحظة فلسوف نحتاج اليها ونحن نعالج قضية « الحل » .

المهم أن الشيوعيين أصبحوا فى قلب بور سعيد .. بل هم كانوا أصلا هناك .. فحيث انهارت مؤسسات الدولة وتفككت ولم يبق منها شىء

---

(١) محضر نقاش مع ليلى الشال ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٦/٣/١

(٢) مذكرات أحمد الرفاعى ـ وهى عبارة عن مذكرات غير مكتملة وغير معنونة من حوالى خمسين صفحة فولسكاب اغلبها مكتوبة بالآلة الكاتبة وصفحاتها الاخيرة مكتوبة بخط اليد (نسخة اصلية أودعها صاحبها لدى المؤلف) .

يمكن للضباط الحكوميين أن يستنيروا اليه ، كان للموحد هناك تنظيمه السرى المتماسك تحت مسئولية عضو بلجنته المركزية (سعد رحمى) وكان لهذا التنظيم أعضاؤه وعلاقاته وأهم من هذا وصيد معرفته بالمدينة وقواها السياسية والوطنية وامكانياتها السرية والعلنية ·· ورصيد معرفة السكان الأصليين بهم وثقتهم فيهم ··

ومن خلال التقاء الخيطين معا نهضت معركة بور سعيد ·

وكعادة رفاق حدتو اتسعت رقعة اتصالاتهم سريعا بكل القوى والهيئات والشخصيات لتفرض الطابع الجبهوى الواسع الذى أتقنوه دوما ·· وتشكلت من هذا كله « جبهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد»

·· يقول أحمد الرفاعى « لم يكن نشاطنا قاصرا على التموين ، وتأمين المواطنين والدعاية وتعبئة الجماهير ، وانما امتد الى محاربة الروح الانهزامية ، ومحاصرة دعاة الاستسلام ، عن طريق التحريض والدعاية وتعبئة الجماهير ، ومعرفة خطط العدو ، بل والدخول الى معسكراته وحرمانه من بعض قواته اما بالقتل أو بحضهم على الهرب من صفوفه أو اضعاف معنوياتهم · ان المأساة التى يعيشها أى شعب هى أن يشعر كل فرد فيه أنه يعيش مأساته بمفرده ، وأن يفقد انتماءه الى المجموع ، ويشعر أنه بمفرده يتعين عليه أن يواجه عدوا باطشا منظما مدججا بالقوة والسلاح ·· ذلك هو ما نجح فيه المعتدون ، وساعدهم على ذلك بقايا جهاز السلطة بالمدنية المستسلم المنهار ·

وبدأنا بالاتصال ببقايا التشكيلات التى كانت قائمة قبل العدوان ·· لجان نقابية ، لجان طلبة ، نوادى للنوبيين والسودانيين واليونانيين* ·· وقد كانت محاولات الاتصال بهم لا تتوقف ليلا ونهارا حتى نجحنا فى استعادة بعضهم الى المعركة ، وبعد أن أيقنا أننا وصلنا الى تجميع بقايا هذه الهيئات ، تم الاتفاق على أن نقوم بمظاهرة فى المدينة المحتلة لنشعر العدو بأن الشعب موجود فى المقاومة ، ولنشعر الجماهير بقوتها ، وان ما بقى فى المدينة من سكان قادر على المقاومة ، بل وانزال الهزيمة بالعدو » (٢)

·· ان ملحمة بور سعيد لم تكتب بعد ·
وليس هنا مجال استعادتها ولا حتى استعادة بعض ما حدث ·

---

* كان الشيوعيون ــ اليونانيون يشكلون قوة مؤثرة فى الجالية اليونانية الكبيرة العدد بمدينة بورسعيد وقد لعبوا دورا هاما فى هذا الصدد . (المؤلف) .

(٢) أحمد الرفاعى ــ المرجع السابق .

انهـا ملحمـة بطولية رائعة وسيظل تسجيل كل ما حـدث فيهـا دينـا فى عنق أصحاب هذه التجربة الخصبة ٠

* وكعادتهم أيضا فان كوادر الوحـد (من أبناء حدتو أساسـا) لعبوا فى هذه المرحلة دور (الرافعة) فى العـديد من المنظمات والتشكيلات التى كانت تعمل فى اطـار السلطة أو عبرها ٠

ولعل اختلافات فى الرؤية قـد تم تداولها ولم يزل حول أسلوب دور « الرافعـة » هذا ٠ أى أن يدخل رفاقك الى منظمة أو لجنة حكومية أو تابعة للحكومة أو حتى منظمة جماهيرية عادية ، ينشطون ، ينهضـون بالعبء كله أو أغلبه ، يتحولون بجهـدهم وحيويتهم الفائقة الى « رافعة » تنهض بالعمـل وتمنحه حيوية والتصاقا بالجماهير وقـدرة على الفعل والتأثير ٠

انتقادات عـديدة وجهت الى هذا الاسلوب ٠٠

ان تعمل فى اطـار السلطة ، أن تصب جهـدك فى سـاقيتها ولصالحها فى نهـاية الأمر ، أن تنهك رفاقك وتكشف أمانهم وتغرقهم فى مجالات عمل هى بالضرورة فى قبضـة النظـام ٠٠ ومصيرها كله يتعلق بارادته ، يبقيها ان شاء ، ويغلق أبوابهـا ان أراد ٠٠

وفى مواجهـة هذه الانتقادات كانت تجربة حدتو تتول ٠٠

اننـا نوجـد فى مواقع فاعلة ـ نحن نؤثر بتواجدنا حتى فى القيـادات الحكومية الموجودة وهى لا تجـد مناصا من الاعتماد علينا ، ولا مناص من أن تتأثر هى بنـا ـ نحن نجـد سبيلا للعمل وسط الجماهير ـ ونكتسب خبرة التعـامل معهـا ـ وفى مجالات كنـا بعيدين عنهـا ـ وعندما يجـد النظـام ضرورة لحل هذه اللجـان أو المنظمات فهو الذى يخسر ، أما نحن فاننا نواصل نشاطا آخر مسلحين بخبرتنا الجديدة وبعلاقاتنا المكتسبة بالجماهير ٠٠ وبالقـادة ٠

وكنمـــاذج ٠٠

* لجـان باندونج : حيث حاول النظـام ايجـاد ركيزة شـبابية (طلابية أساسا) لتوجهـات باندونج ، كمعركة شاملة معادية للاستعمار ـ ولتوحيـد شعوب آسيا وافريقيـا فى مواجهته ٠

وتولى الاهتمـام بهـذا العمل أحـد رجال يوليو الضباط وحيـد رمضان ٠ والتقى السهمان فى هذه المنطقـة أيضـا من الصورة ٠ ونهض الشيوعيون (الطلاب من أبنـاء المنظمـات الثـلاث الوحـد ـ الرايـة ـ ع٠ف) بالعبء الاساسى فى العمل ، وتحولت لجـان باندونج الى شىء حى وفاعل ليس فقط فى صفوف الطلاب المصريين وانما فى صفوف الطـلاب

* لجـان المقاومة الشعبية ـ حيث اصبحت قوة جماهيرية فاعلة حقـا ، وحيث التقى فيهـا السهمان وصعدا معـا ايضا فى سماء حشـد جمـاهيرى متسع وملتهب حماسا وحيوية ..

وانتشرت لجـان المقاومة الشعبية فى الاحيـاء والقـرى والمصانع تحشد الجماهير فى معركة الدفاع عن الوطن وفى معركة زيادة الانتـاج . وفى مواجهـة المؤامرات الداخلية والخارجية .

ولعلنـا قـد طالعنـا فى صفحات سابقـة كيف كانت تجربة لجـان المقـاومة الشعبية محل تنسيق واهتمـام ومناقشة من رفـاق المنظمـات الثلاث(٥)

وفى اطار هذا النشاط نمت ايضا لجـان المقاومة الشعبية النسائيه وتعزز وجود يسارى فاعل وربما لاول مرة ـ وسط جماهير النساء ـ ، وربما كانت هذه الفترة واحـدة من الفترات النادرة التى عزز فيهـا الشيوعيون وجودهم وسط جماهير النساء وعضويتهم النسائية(٦) .

* وفى اطار الاعداد لمؤتمر نضامن شعوب آسيا وافريقيا برز دور الشيوعيين بروزا ملفتـا للنظر سواء فى حشد أو تنظيم او قيادة التظاهرات وحشود الاستقبال للوفود .. بحيث كان تواجـدهم وتوليهم لهـذا الامر مثيرا للاهتمام ، وبحيث برز الشيوعيون وربما بصورة أكثر من حجمهـم الحقيقى فى هذه التظـاهرات ..

* ولقـد تحدثنا ايضا عن سرادقات الاتحاد القومى ومؤتمراتـه ، والحشود الهائلة التى تمكن الشيوعيون من تجميعها فى هـذه المؤتمـرات والامكانيات الحكومية التى قدمت اليهم كى يتمكنوا من أداء هذه المهمـة (سيارات بمكبرات صوت تابعـة لهيئة الاستعلامات ـ حرية التحـرك بين الجمـاهير وتولى مسئولية الاتصال والحشد ..) والتعامل فى هـذا الاطـار وبشكل رسمى معهم .. كشيوعيين والسماح لهم بالخطابة والهتاف فى هذه المؤتمرات .. (٧)

---

(٤) ليلى اشال ـ المرجـع السـابق .

(٥) محاضر لجنـة التنسيق الثلاثية ـ مطبوعات الحزب الشيوعى المصرى الموحد ـ المرجـع السـابق .

(٦) لمزيد من التفاصيل ـ راجع محـاضر لجنـة التنسيق الثلاثية ـ المرجـع السـابق .

(٧) النشار ـ المرجـع السـابق .

ـ ولا يمكننا الا أن نتوقف أمام المعركة الانتخابية حيث برز دور الشيوعيين كقوة فاعلة ومنظمة وقائدة لتحركات جماهيرية واسعة ... صحيح أنه قد تم الاعتراض عليهم جميعا باستثناء مرشحين اثنين (د. عبد العظيم أنيس ـ د. فايز فريد) وصحيح أنهم قد أنهكوا أنفسهم فى صراع مجدب فيما بين بعضهم البعض (دائرة الوايلى) لكن الصحيح أيضا أنهم كانوا فاعلين وبارزين ومؤثرين فى أكثر من دائرة ولصالح أكثر من مرشح ، واستطاعوا أن يتميزوا بوجود منظم وفاعل وأن يستمدوا من هذا التواجد فرص اقامة علاقات جماهيرية متسعة وغرس كوادرهم وتنميتها فى مجال الاداء الجماهيرى ..

.. كل ما سبق يعبر عن صعود السهمين معا .. ، كل منهما كما قلنا كان يفسح الطريق ويمهده للآخر .. ولعل النظام وبعد فترة طويلة من العزلة عن الجماهير المنظمة واكتفائه بالعمل الخاوى ، قد استشعر بعضا من الحاجة الى اشراك الجماهير فى أدائه النضالى ضد الاستعمار وضد مؤامراته ، ولعله قد شعر بأن ادواته (هيئة التحرير .. الخ) كانت أضيق من أن تستوعب هذا المد الجماهيرى العارم ، ولعله استفاد من الفعل الجماهيرى الشيوعى فى حشد قوى واسعة حول سياسته .. التى كان الشيوعيون يؤيدونها ..

المهم أن الفرصة قد أتيحت للسهم كى ينطلق فانطلق متألقا فى سماء مصر بصورة مليئة بالزهو المبهر .. وملفتة للانظار جميعا ..

والسهم الشيوعى لم يكن ليسمح له بأن ينطلق فى سماء العمل الجماهيرى بعيدا عن الحدود المسموح بها .. لكن الهامش كان متسعا .. وكان كافيا الى حد ما .

وما أن يحدث أى تجاوز لهذا الهامش .. حتى يكون سيف السلطة جاهزا .

فمثلا عقب تأميم القناة مباشرة قرر الموحد أن يوزع بيانا بتأييد التأميم وأن يوزعه علنا فالقى القبض على واحد ممن قاموا بذلك وحوكم وصدر حكم بسجنه (٨)

وما أن تجاوز الطلاب الشيوعيون حدود المسموح به فدعو الى مؤتمر طلابى بجامعة القاهرة يحيى مؤامرة الملك حسين ضد حكومة النابلسى ـ وبرغم أن كل المؤتمر وكل ما أعلن فيه من مواقف ومتافات وقرارات كانت تكرارا لمواقف الحكومة ـ الا أن السلطة لم تقبل بمبدأ التحرك دون اذن

---

(٨) ملف قضية الجناية المتهم فيها على حفيظ امين دولة علنا عابدين امام ١٩٥٦

مسبق .. وصدرت عقوبات صارمة بحرمان عديد من الطلاب والطالبات الشيوعيين من الامتحان بل وبفصل أحدهم نهائيا (٩) .

.. لكن السهم كان ينطلق على أية حال ، وكان يحقق وجودا جماهيريا ملفتا للنظر .

* وفى المجال النقابى لعب الشيوعيون دورا بالغ الاهمية ، وعوضوا وبسرعة فترة انقطاعهم عن عملية تكوين الحركة النقابية الجديدة ، ونجحوا فى اقامة علاقات وتحالفات نقابية واسعة ، ووثقوا علاقاتهم بالقيادات النقابية الرسمية وعملوا معها ومن خلالها واستخدموا وبنجاح فكرة « الرافعة » ..

واسسوا ايضا « مكتب النشر والثقافة العمالية » واصدروا عن طريقة عددا من الكتيبات وأقاموا مساحة واسعة ومؤثرة من العلاقات فأصدروا كتيبات مشتركة مع قيادات الحركة النقابية الرسمية كانت بمثابة بيانات نضالية تحدد مواقف مشتركة مثل كتيب « الطبقة العاملة فى المعركة ضد الاستعمار » ولعله من الملفت للنظر أن نقرأ الاسماء التى أصدرت هذا البيان المتضمن فى الكتيب . فهى فتحى كامل (اتحاد العمال العرب) أحمد فهيم (الاتحاد العام لنقابات عمال مصر) ثم شهيد عبد الوهاب ندا ، ونور سليمان (وكلاهما من الكوادر النقابية بالحزب الموحد) .

* فاذا ما اتينا الى مجال النشر نكتشف ان الشيوعيين وقد ادركوا صعوبة استعادة تجاربهم القديمة فى اصدار صحف ومجلات خاصة بهم (فقد أصبح ذلك ممنوعا بشكل عام) فانهم قد ركزوا وبنجاح منقطع النظير على نشر الكتب والكتيبات الصغيرة الحجم والرخيصة الثمن ..

ولعل دار الفكر قد جسدت خبرة حدتو المتراكمة فى مجال النشر العلنى ، ونجحت فى أداء دورها بشكل ملفت للنظر حيث أصدرت عشرات من الكتب والكتيبات سواء لنشر الفكر الماركسى أو لمواجهة الاستعمار الامريكى ومؤامراته ، أو لافساح المجال لأدب وفن تقدميين سواء على صعيد مصر أو صعيد الامة العربية ككل ..

كذلك فقد استعاضت دار الفكر عن فكرة المجلة الاسبوعية ذات الطابع السياسى (وهو ما أصبح ممنوعا) ـ بسلسلة من المجلات الشهرية التى

---

(٩) بيان معنون « من طلبة الجامعات .. الى شعبنا المصرى المناضل » وموقع باحد عشر اسما من الطلاب الذين صدرت ضدهم عقوبات من بينهم احمد فؤاد النهامى ـ ايلى الشال ـ زينات الصباغ ـ مراد الشعيبنى ـ هامد الازهرى .. الخ.

تحمل طابعا فكريا وربما مستقبليا ·· مثل « الغد » ، و « دراسات سوفيتية » ·

وتحت أيدينا مجموعات ضخمة من هذه الكتب والكتيبات والنشرات ·· لكننا سنكتفي باستعراض بعضا من أعداد هذه النشرات والمجلات ·

« دراسات سوفيتية » وهي كتاب شهري أصدرته دار الفكر بهدف نشر الدراسات السوفيتية حول معارك السلام والتضامن بين الشعوب والنضال المشترك ضد الاستعمار ··

والعدد ·· قد دخل مشروع البرنامج مرحلة التنفيذ ، وعقدت بشأنه الصفقات وعارضت هناك محاولات لعقد صفقات أخرى ، ان أى محاولة للاستهانة بالدور الاستعماري للولايات المتحدة أو لتغطيته تعتبر جريمة في حق أوطاننا العربية ·· وأية محاولة للتقليل من دور الدول والشعوب الصديقة وأهمية تدعيم روابطنا معها تعتبر جريمة · وأمام العدوان المباشر وأمام الخطر المباشر لم يعد هناك من طريق الا تكتل قوى السلام والحرية لتضع أى عدوان جديد قبل أن يقع ولترفع الايدى الملطخة بالدم عن الشعوب اذا تضامنت لانتزاع سيادتها ·· ان الخطر الأمريكي الزاحف أصبح يهددنا جميعا ·· وتجربة دورسعيد تؤكد انه أصبح في مقدور الشعوب اذا تضامنت أن توقف الخطر وتحمي السلام » ·

هذه فقرة من افتتاحية العدد ·· ثم كتاب العدد « مشروعات الاستعمار في آسيا وافريقيا » ثم دراسات عديدة عن « أمريكا والاستعمار » « حلف جنوب شرقي آسيا » وحديث مع شواين لاى ·· الخ ·· وبعد ذلك تقارير عن السياسة الدولية وتقارير عن الأدب والفن(١٠) ·

أما العدد الخامس فيكرس « لمهرجانات الشباب العالمي بموسكو ـ أغسطس ١٩٥٧ » ·

·· فاذا ما استعرضنا مجلة «الغد» نجد انها نموذج عام في حشد قوى وطنية وتقدمية مبدعة في مجالات الكتابة والشعر والقصة والفن التشكيلي والكاريكاتير بما يعطي صورة كافية بل ومبهرة عن علاقات وثيقة وحميمة مع كبار الفنانين والمبدعين المصريين · ولكن ولأن العدد قد تأجل صدورها حتى بداية عام ١٩٥٩ ·· أى في لحظة الصدام العنيف بين النظام والشيوعيين فاننا نرجيء استعراض ما بها ، حتى يأتي موعدها ·· ففي اطار موعدها ستكتشف أنها تكتسب مذاقا خاصا ·· وعاما ·

ولم تكن دار الفكر وحدها ··

---

(١٠) دراسات سوفيتية ـ نشرة غير دورية تصدر عن دار الفكر ـ العدد الثالث.

ان محاولة استعادة أسماء الكتاب اليساريين الذين تألقوا على صفحاتها تبدو صعبة لأن الأسماء أكثر من أن تحصى فى عجالة كهذه ..

لكن الاهم من ذلك كله أن المساء نجحت فى أن تقدم - وبشكل متوازن - وبرغم كل الصعوبات المفترضة ، والتعقيدات التى تحالفت ضدها .. نجحت فى أن تقدم رايا مبدئيا ومتوازنا لليسار المصرى فى مختلف المواقف .

وعندما يعود السهمان للهبوط تعانى المساء معاناة حقيقية ، ويحاول النظام أن يفرض عليها منهجية الالتزام بالمقولات الحكومية ، لكن المساء تابى ذلك ، وتصمد فى وجه العواصف وعندما تشتعل الحملة ضد ثورة العراق .. ترفض المساء المشاركة فيها . ويؤكد خالد محيى الدين انه لن يلتزم بنشر الا ما تجمع عليه وكالات الانباء العالمية وليس أجهزة الاعلام الحكومية .. وتكون حادثة « الشواف » هى نهاية المطاف فقد رفضت المساء أن تشارك فى الحملة الحكومية لصالحه وضد ثورة العراق . وعندما سحقت حركة الشواف خرجت المساء لتطن ذلك على صدر صفحتها الاولى .. وتكون نهاية عهد رئاسة خالد محيى الدين بتحريرها .. وتصبح المساء شيئا آخر .

* * *

ولعلنا لم نفاجىء اذ طالعنا فى الاسطر السابقة .. قرارا جمهوريا باغلاق دور النشر الشيوعية ، وقرارا من الرقيب العام بمصادرتها .. فنحن نعلم أن فترة التآخى بين السهمين لم تكن بالطويلة . وان فترة صعودهما المشترك لم تدم طويلا - وان الامر انتهى بتصادمهما ..

ولعل الأسباب العديدة ..

لعلها تنبع من طبيعة النظام ذاته ، فلقد قبل بهذا الصعود للسهم الشيوعى على مضض .. هل نذكر كلمات أحمد الرفاعى فى مذكراته « .. وكان الشرط الأساسى لكى تحارب الانجليز هو الا تكون شيوعيا » .. كان هذا هو المنطلق الاساسى للحكم أما ما عدا ذلك فقد كان استثناءا املته الظروف .. وخاصة ظروف العدوان الثلاثى ، وايام الهزيمة الاولى التى شهدتها المعركة ، وحالة الفراغ السياسى الشديد التى لاحظها قادة الحكم بعد عجز ادواتهم السياسية عن مسايرة ركبهم فى حملة العداء للاستعمار .. ولكن ما أن يستعيد النظام انفاسه ويخلق لنفسه مرتكزاته التنظيمية والسياسية حتى يستشعر ثقل عبء الحركة الشيوعية فى الشارع المصرى .

ولعل النظام لم يكن قد رضى بكثير مما حدث لكنه كان يتحين

الفرصة * .. ولعله قد سمح للطائر بأن يرفرف بجناحيه عاليا مدركا أن خيطا ما .. كان يشد ساق الطير .. وانه مهما حلق بعيدا فانه فى اطار السيطرة وانه بالامكان استعادته الى القفص .

ولعل فرصا قد أتيحت وعن عمد حتى يمكن أن يطمئن الرفاق .. ويظهروا جميعا على السطح كى يصبحوا فى مستقبل قريب فى متناول القفص ..

هل نتذكر الحديث عن الطنية فى محاضر لجنة التنسيق الثلاثية .. وهل نتذكر مقولة الدكتور فؤاد مرسى « فى أواخر عام ١٩٥٧ بدأ الشيوعيون فى العمل بشكل شبه علنى ووجدنا من المناسب وتدعيما للثقة فى النظام الوطنى الكشف عن شخصيتى » .

.. هل نذكر الحديث عن المؤتمرات الصاخبة والتعاون مع الاتحاد القومى ومع مصلحة الاستعلامات وحتى مع رجال المخابرات فى بور سعيد والمسيرات والمظاهرات والحملات الانتخابية ولجان المقاومة الشعبية ولجان باندونج ودور النشر .. كل ذلك كان رصيدا لدين سوف تسدد فواتيره عندما يبدأ التصادم بين النظام والشيوعيين .

وفى أوائل عام ١٩٥٩ وجد زكريا محيى الدين وزير الداخلية الفرصة كى يصرح لسيمون لاكوتير المحررة بجريدة فرانس أوبزرفاتير قائلا « فى سوريا تشكل الشيوعية خطرا أما فى مصر فهى لا تزيد عن كونها مشكلة فهنا نعرف الشيوعيين كلهم » (١٣)

على أية حال تصادم السهمان .. وكان لا بد لهما أن يتصادما فى اطار الظرف الموضوعى ومنهجية رؤية النظام لمكنات العمل المعارض .. ولحدود المعارضة وحتى لمبدأ وجودها ..

.. وبدأ الصدام كالعادة بخلافات فى وجهات النظر ..

ولعل الأمر قد تعقد بسبب معطيات عربية وخارجية بحيث تحرك الموقف فى اطار لم يكن قد اعد نفسه له ، لا بمثل هذه السرعة ، ولا الى هذا الحد ..

---

* استمع المؤلف شخصيا من يوسف السباعى الى روايه مؤداها ان عبد الناصر قد لامه اوما شديدا لان الشيوعيين « قد سرقوا » منه مهرجانات استقبال الوفود المشاركة فى المؤتمر التاسيسى لمنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا .

(١٣) نقلا عن : احمد هيروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو — ج ٢ — مدتمع جمال عبد الناصر — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت (١٩٥٧) ص ١٨١

فقد امتد اهتمام مختلف المنظمات الى مجال النشر أيضا ٠

واتسع الاهتمام بالنشر وتوزيع الكتب ليصل عدد المؤسسات الشيوعية العاملة فى هذا المجال الى عشرة ٠

وقد أسهمت هذه الدور جميعا فى خلق مساحة واسعة من الاداء الفكرى والسياسى الراقى للشيوعيين ، وقدمت أفكارهم ومواقفهم ازاء الاحداث بصورة أكثر انتشارا من أى وقت مضى ٠

وعندما يتصادم السهمان ويفقدان قدرتهما على الانطلاق المتوازى ٠

عندما تبدا المعركة الضارية بين الحكم والشيوعيين ، يصدر قرار جمهورى باغلاق عشرة من مكاتب ودور النشر ، ويصدر قرار من الرقيب العام بمصادرة جميع المطبوعات والكتب والنشرات على اختلاف انواعها التى توجد بالمكاتب ودور النشر المذكورة » ٠

٠٠٠ أما الدور التى خضعت لهذه القرارات فهى :

- دار الفكر - ابراهيم عبد الحليم (الموحد)
- دار الديمقراطية الجديدة - محمد سيد أحمد (الراية)
- المؤسسة القومية للنشر والتوزيع - ريمون ابراهيم دويك ، حسين توفيق طلعت (ع٠ف)
- مكتب مصر للترجمة - شهدى عطية الشافعى (الموحد)
- دار الفكر بطنطا - سيف الدين صادق (الموحد)
- مكتب النشر والثقافة العمالية - محمد على عامر - سيد نسدا - نور سليمان (الموحد)
- مكتب الأعمال النقابية للنشر - محمود العسكرى - يوسف المدرك (ع٠ف)
- مكتبة سمعان - ميشيل سمعان (ع٠ف) ٠
- مكتبة السلام بالاسكندرية - سعد عبد المتعال ٠
- دار الفجر بطنطا - عبد المنعم شتله (١١) ٠

٠٠ لم يكتف الشيوعيون بالنشر العلنى فقد اصدروا فى هذه الفترة سيلا من المطبوعات والنشرات والدراسات السرية أيضا ٠٠

واية محاولة للحصر ستكون مستحيلة وسنكتفى بمجرد نموذج واحد لعله يعطى الانطباع الكافى ٠٠

---

(١١) راجع نص القرار الجمهورى - وقرار الرقيب العام وشهادة البكباشى حسن المصيلحى أمام النيابة العامة حول دور النشر الشيوعية فى ملف القضية ٩٠ عسكرية عليا - المرجع السابق - ص ١١٠١

« تقرير طب شرعي ـ فى المحضر رقم ٣ لسنة ١٩٥٩ حصر أمن دولة ـ مظروف رقم ١ ـ مختوم بالجمع الاسود بختم نيابة أمن الدولة ومعنون أن بداخله مضبوطات محمد أحمد الزبير (جهاز الطباعة الخاص بفريق حدتو) » ·

ويورد التقرير بعد ذلك مفردات المضبوطات ولنتامها :

ـ أصل كتيب حول الاقتصاد القومى ·
ـ أصل كتيب أساليب القيادة ·
ـ أصل دراسة حول الخط الجماهيرى للحزب ·
ـ أصل مجلة الوعى الجديد ·
ـ أصل كتيب النجاح البارز لحركة الاصلاح الزراعى فى الصين ·
ـ أصل منشور الاستعمار يتآمر ولكن الشعوب تنتصر ·
ـ أصل منشور ذكرى ٢٦ ديسمبر ١٩٥٦ ·
ـ أصل منشورات مختلفة عددها اثنى عشر منشورا ·
ـ نشرة بعنوان خطاب الرفيق سوتج جين(١٢) ·

·· وكان هذا مجرد نموذج لفيض النشرات والمنشورات والدراسات لعلنا سنجد الفرصة لمتابعة بعضا منها عبر صفحات قادمة ··

ولكن وقبل أن نترك هذا الموقع هل لنا أن نتذكر تجربة فريدة ومثيرة حقا ، هى تجربة جريدة المساء ، ففى أعقاب عودة خالد محيى الدين من المنفى ·· وبعد العدوان طلب اليه عبد الناصر اصدار جريدة مسائية ··

ان قصة جريدة المساء كجريدة يسارية تستحق دراسة خاصة بها* لكننا نتكفى بالاشارة الى تلك المدرسة الصحفية اليسارية التى تألقت فى فترة صعود السهمين معا وصعود مصر معهما وتألقها فى معركة العداء للاستعمار والدفاع عن الاستقلال الوطنى ··

لقد نجح خالد محيى الدين ليس فقط فى أن يحشد كتابا ومثقفين وصحفيين من مختلف المنظمات واضعا بذلك واحدا من جنينيات التوحد ·· وانما نجح أيضا فى أن يقدم لميدان العمل الصحفى عددا كبيرا ممن تألقوا فيما بعد كرموز يسارية تحترف مهنة الصحافة ·

ولقد كانت المساء جريدة ناجحة بكل المعايير صحفيا وفنيا وسياسيا أيضا ·

---

(١٢) ملف القضية ٩ عسكرية عليا ـ المرجع السابق ـ ص ١١٠١

* يقوم المؤلف باعداد دراسة خاصة مطولة عن جريدة المساء .. تشكل الجزء الثالث من دراسته عن تاريخ الصحافة اليسارية المصرية .

كى لا يحضر جلسة البرلمان التى سيصوت فيها على الوحدة (١٩) ٠

٠٠ ويقول هيكل ان السوفييت استقبلوا عبد الناصر لدى زيارته لموسكو فى ٢٨ ابريل ١٩٥٨ استقبالا لم يسبق له مثيل لحاكم من حكام العالم الثالث ٠٠ ويقول هيكل « ولم يشر السوفييت مطلقا الى مسألة القبض على الشيوعيين فى الجمهورية العربية المتحدة » (ونلاحظ هنا ان أحدا من الشيوعيين لم يكن قد القى القبض عليه بعد فى هذا التاريخ ـ المؤلف) ومع ذلك يمضى هيكل فى روايته قائلا ان عبد الناصر هو الذى فاتح خرتشوف بالامر قائلا « يجب الا تهتموا بأمثال خالد بكداش ذلك انهم يضعونكم فى مواقف صعبة بسبب خطهم الخاطىء » ويضيف هيكل ان خروتشوف أجاب « هذا شأن داخلى ونحن لا نريد ان نتداخل فيه »(٢٠) ٠

٠٠ هذا ما رواه هيكل وبرغم اختلاط التواريخ وعدم دقة الوقائع أو عدم امكانية تصور وقوعها فان الامر يبدو بالنسبة لنا ليس مجرد اختلاط فى التواريخ ٠ لكن الرواية لها شقها الآخر فهيكل يقول « واذا استشعر الامريكيون بأن شيئا ما يقع بين مصر والسوفييت فقد كانوا وبحق راغبين فى الاستفادة من هذا الوضع ٠ وعندما قابلت ريموند هير السفير الامريكى بالقاهرة فى بداية نوفمبر ١٩٥٨ سألنى عما اذا كان هناك ثمة شىء يمكن لحكومته ان تفعله ٠ وحملت الرسالة الى عبد الناصر الذى طلب الى ان أسأل السفير عما اذا كانوا يوافقون على ان يبيعوا لنا قمحا ٠ ونقلت الرسالة ، وبعد اربعة وعشرين ساعة تلقيت ردا مرضيا فالامريكيون سيوفرون لمصر قمحا قيمته ٥٠٠ مليون دولار فى العام ولمدة ستة سنوات » ٠

ورواية اخرى لهيكل « اشتكى وزير التعليم لعبد الناصر من ان الطلاب المصريين الدارسين فى الاتحاد السوفيتى يدرسون الماركسية ٠ وطلب منى عبد الناصر أن أقابل ريموند هير لاسأله اذا كان بامكانه أن يجد أماكن فى الولايات المتحدة لكل طلابنا فى الاتحاد السوفيتى بحيث يمكننا تحويلهم جميعا الى هناك ٠٠ وبعد ثلاثة ايام جاء الرد ان اماكن لـ ٢٥٠ طالبا قد دبرت ٠٠ وقامت طائرة خاصة بنقل الطلاب من الاتحاد السوفيتى الى أمريكا » (٢١) ٠

٠٠ وبغض النظر عن عدم دقة هذه الرواية هى الاخرى فلقد بقى طلاب مصريون عديدون من المبعوثين الحكوميين للدراسة فى الاتحاد

---

(19) Ibid - p. 88.

(20) Ibid - p. 89.

(21) Ibid - p. 109.

السوفيتي ، وتكملوا كل السنوات الطبيعية هناك بل ان قصة هذا التهجير الشامل للمبعوثين لم تقع لا بهذا الحجم ولا بهذه الصورة .. فان ثمة سببا مهما يبرز من هذا كله - صحيحا كان ام خاطئا ودقيقا كان ام غير دقيق - وهو ان عبد الناصر قد وجد لنفسه سبيلا للتفاهم مع امريكا عبر اتصالات هيكل - ريموند هير .

ولعلنا نعود فنتذكر ونذكر القارىء بالحملة الواسعة التي شنتها الاعرام لمناسبة تقديم احد القضايا الشيوعية القديمة الى المحاكمة ..

ونواصل تقديم ملاحظات جديدة ..

يقول أحمد حمروش ان العلاقة بدأت في الاهتزاز بين عبد الناصر واليسار .. ويرصد واقعتين مهمتين .

- « .. وعهد الى عبد الناصر باصدار مجلة اسبوعية جديدة تحت اسم الفجر عام ١٩٥٦ وشكلت لها مجموعة تحرير ضمت محمود امين العالم - سعد لبيب - عبد المنعم الغصاص - منير حافظ (احد عمزات الوصل المثيرة للاعتمام بين عبد الناصر والشيوعيين) - بهيج نصار ... ولكنها لم تصدر .. رغم طبع ثلاث أعداد منها للتجربة » .

اما الواقعة الثانية فهي « الايديولوجية ما زالت غائبة . والحيرة طابع التصرفات . والتجربة هي أساس الحركة . ويفكر عبد الناصر في عمل مدرسة كادر يعهد بها الى خالد محيي الدين في خريف عام ١٩٥٨ ثم ينتهي المشروع مع حوادث العراق وخروج خالد من المساء »(٢٢) .

ونسجل ان خالد محيي الدين قد نفى ان احدا قد فاتحه في هذه الواقعة الاخيرة ...

ويتابع حمروش ملاحظاته .

.. « عندما حاول اللواء عفيف البذري رئيس أركان الجيش السوري ابداء رايه في توحيد الجيش وكان معروفا بصلاته الوثيقة مع الشيوعيين ، صدر قرار جمال عبد الناصر بخروجه من الجيش ومعه الضباط اليساريين » .

ثم « ولكن ثورة العراق فرضت على الموقف ايضا مزيدا من الاضطراب .. « عندما حاول اللواء عفيف البذري رئيس أركان الجيش السوري وبدأ الهجوم عليهم في خطب جمال عبد الناصر تلميحا ثم تصريحا في خطبته يوم عيد النصر في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ في بورسعيد ذات المدينة التي قام

---

(٢٢) احمد حمروش - المرجع السابق ص ١٦٨

ولا بد لنا أن نطالع بعضا من التقييمات والملاحظات قبل أن نتسرع ونستخلص النتائج ٠

أتمنى عزيزى القارىء الا تتعجل القفز على النتائج ولتحاول معى أن تستجمع من الملاحظات المتعددة صورة مركبة للموقف ٠٠

يقول أنور عبد الملك « ثلاث أحداث ميزت عام ١٩٥٨ ٠٠ اندمجت المنظمات الشيوعية الثلاث وأسست الحزب الشيوعى المصرى بعد شهر تقريبا من اعلان الوحدة السورية المصرية (الصحيح أنها تمت قبل الوحدة السورية المصرية بشهر ـ المؤلف) ولم يخف الامر على العسكريين « يقصد الحكام » ، ان ما كان يثير مجرد السخط قد أصبح أو يستطيع أن يصبح خطرا ٠

والحدث الكبير الثانى الذى سيعجل فى الازمة هو مؤتمر الشعوب الافريقية والآسيوية الذى انعقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ وحتى أول يناير ١٩٥٨ ، وقد نظم اليسار بهذه المناسبة فى الصحافة والاذاعة والجامعات والنقابات مظاهرة ضخمة ضد الاستعمار ، مشددا على دور الحربات العامة ، والعمل الشعبى ٠ وأفلت الامر من أيدى الرجال الرسميين ، وهم مرتبطون بالسياسة التى تعتمد مبادىء باندونج أساسا لها ، واضطروا الى القبول بالامر ٠٠ واتخذت الامانة العامة للمؤتمر القاهرة مركزا لها ، ووضع على رأسها يوسف السباعى ، وهو أرستقراطى قديم وقائد سابق فى سلاح الفرسان ، وذلك لكبح ممكنات انطلاقها الثورى ٠

وكانت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ العراقية هى ثالث الاحداث الحاسمة ٠ فقد شهدت الاسابيع الاولى ازدهارا مدهشا للديمقراطية فى العراق ، حيث كان الحزب الشيوعى أقوى الاحزاب ٠٠ وترك اللواء عبد الكريم قاسم لهذه المنظمات مجال العمل واسعا ٠٠ وشجع الفكرة القائلة بأن العراق الجديد هو الطريق الديمقراطى والتحررى للقومية العربية ، وانه البديل عن الطريق الدكتاتورى الذى يمثله عبد الناصر ٠ الخطر أصبح هذه المرة يداهم وجود الجمهورية العربية المتحدة ذاتها ، حيث رأى اليسار والوطنيين التقدميين بروز حل ديمقراطى فى الافق ، بفضل التجربة العراقية ، حل يمكنه انهاء الحلم المرعب الذى يفرض ضرورة صلب الحربات كثمن للوحدة »(١٤) ٠

٠٠ وملاحظة أخرى

---

(١٤) انور عبد الملك ـ مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون ـ دار الطليعة ـ بيروت (فبراير ١٩٦٤) ص ١٣٦ وما بعدها ٠

يقول م . ش . عجواني « لقد اتجه الشيوعيون المصريون والسوريون بأفكارهم تجاه الثورة العراقية (١٤ يوليو ١٩٨٥) حيث لعب الشيوعيون العراقيون دورا هاما .. الامر الذى أقلق عبد الناصر كثيرا ، ذلك ان بروز الثورة العراقية قد جعل منها نقطة جذب لانظار الشيوعيون العرب جميعا .. بما جعلها منافس خطر للتيار الناصرى العام »(١٥) .

ويشير ذات الباحث الى موقف خالد محيي الدين رئيس تحرير المساء من ثورة العراق حتى بعد حملات القبض الواسعة على الشيوعيين ، ويشير الى انه بعد هزيمة الشواف تجاسرت جريدة المساء وتحدث كل ما يجرى وأعلنت فى مانشيت الصفحة الاولى « انتهاء ثورة الموصل » وقد أثار ذلك الموقف الحكومة ودفعها الى تصفية كامل الوجود اليسارى فى الصحافة والاعلام »(١٦) .

« .. ويقول خالد محيي الدين ان هذا المانشيت واصرار المساء على اتخاذ موقف متميز من ثورة العراق قد أدى الى ابعاده عن رئاسة تحرير المساء والى تصفية كامل الوجود اليسارى بها »(١٧) .

ويعطى محمد حسنين هيكل صورة لطبها تعبر عن أحاسيس وتوجسات الفئات الحاكمة « لقد حاول الشيوعيون استثمار الموقف « العدوان على بورسعيد » وحتى فيما قبل ان يقع العدوان ، وعندما تشكل الحرس الوطنى من متطوعين مدنيين والذى لعب دورا هاما فى المقاومة فى بورسعيد ، نجد ان بعض الشيوعيين وفيهم كتاب ومثقفون قد انضموا الى الحرس الوطنى محاولين اعطائه مسحة ماركسية » .

وتصل المبالغة بصاحبها الى حد قوله « وكان القنصل السوفيتى فى بورسعيد يشاهد فى كل مكان فى المدينة محاطا بالشيوعيين من اعضاء الحرس الوطنى .. (!) »(١٨) .

ويشير هيكل ايضا الى موقف الحزب الشيوعى السورى من الوحدة المصرية السورية والى مغادرة خالد بكداش لسوريا يوم ٤ فبراير ١٩٥٨

---

(15) M.S. AGWANI - Communism in the ARAB EAST. asia Publishing house - 1969 p. 82.

(16) Ibid p. 82.

(١٧) مناقشة مع خالد محيى الدين ــ اجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٨٦/٣/٨

(18) Mohamed HAIKAL - Sphinx and Commisser - Collins - London (1978) . p. 73.

ثم النظر الى حاضرها والى آفاق مستقبلها ·· ويتداعى من هذا العنوان مجموعة من المواضيع الفرعية ايضا قضية الديمقراطية ، مسالة التنظيم السياسى السلطوى الواحد ، موقف الحكم من المسكرين العالميين ···

وثانيا : نكتشف مع بعض التأمل أن هذه الخلافات بين الشيوعيين وحكومة عبد الناصر كانت بداتها هى مصدر الخلافات داخل الحزب الشيوعى المصرى ·· فالشيوعيون اختلفوا ليس فقط حول رؤيتهم وتحليلهم لهاتين القضيتين ، وانما اختلفوا حول مدى وكم وممكنات الاختلاف مع الحكومة حولها ··

ومن ثم فاننا سوف نجد الامر معقدا بعض الشىء فلسنا فقط نحاول تحليل أوجه الخلاف حول هذه القضايا بين الشيوعيين وبين عبد الناصر وانما يتعين علينا أن نحلل رؤية كل من الطرفين الشيوعيين المتصارعين داخل الحزب لكل من هذه القضايا ولأسلوب معالجتها ازاء الحاكم ··

وثالثا : نلاحظ أن الموقف نجاه الشيوعيين المصريين قد أصبح وللمرة الأولى فى تاريخ مصر الحديث جزءا من لعبة السياسة العربية والخارجية للحكم ·· وان تصاعد حدة الخلاف مع ثورة العراق ومع الشيوعيين العرب المساندين لها ، وتصاعد الحملات المتبادلة بين عبد الناصر وخروتشوف ومشكلات القمح والرغبة فى اجتلاب أكبر قدر من العون الامريكى لمصر ·· كل ذلك دخل ضمن محددات ومكونات موقف عبد الناصر من الشيوعيين سواء من حيث التعامل او التوقيت أو حجم الضربةاو تصعيد الاساليب اللاانسانية فى السجون ··

وهكذا · وبسبب عوامل خارجية وعربية ـ أصبح الموقف منالشيوعيين المصريين سلبا (١٩٥٩) وايجابا (١٩٦٤) جزء من لعبة السياسة الخارجية لمصر ··

والآن نستطيع أن نحاول ان نخوض هذه الشبكة المعقدة من المواقف لكننا سنحاول أن نبسط الامر وأن نتمسك بالعنوانين الكبيرين لقضايا الخلاف والاختلاف ··

القومية العربية والديمقراطية ·

فيها الشيوعيون مع العسكريين بدور وطنى بارز فى مقاومة المعتدين » و ٠٠ « كانت جريدة المساء هى المنبر الذى يطل منه الشيوعيون على الرأى العام وكتب الدكتور عبد العظيم انيس مقالا بعنوان « الحركة الوطنية العربية » اعتبره جمال عبد الناصر خروجا على خط القومية العربية ، وطلب من خالد محيى الدين منع الدكتور عبد العظيم انيس من الكتابة ووقعت « المساء » فى حيرة شديدة بين اتجاهات القومية العربية والاتجاهات اليسارية فى العراق . بل انها لم تنشر ما ورد فى خطبة جمال عبد الناصر من هجوم على الشيوعيين يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ فى بورسعيد »(٢٣) ٠

٠٠ ويواصل خروشوف ربط الاحداث بعضها ببعض « ٠٠ وتوالت خطب جمال عبد الناصر تتهم الشيوعيين بالعمالة ٠٠ وفى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٨ وصل يوجين بلاك يحمل عرضا بقرض من البنك الدولى . وفى ليلة رأس السنة هاجم البوليس منازل مئات الشيوعيين الذين تم ترحيلهم الى المعتقلات »(٢٤) ٠

ويقدم انتونى ناتنج عدة ملاحظات تدور حول نفس المحور ٠

٠٠ « لم تمض أيام قليلة على تمرد الموصل الفاشل حتى عاود خروتشوف الهجوم بخطاب ادلى به فى موسكو امام وفد عراقى زائر حذر فيه عبد الناصر من جديد بعدم المضى فى حملته المناهضة للشيوعيين ، والمحاولات التى هى على حد زعمه مآلها الفشل . كمحاولته ارغام العراق على الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة ٠٠ ورد عبد الناصر بعنف وقال ان ـ خزوتشوف يشوه الحقائق ٠٠ ثم اذا بخروتشوف يشن هجوما شخصيا على عبد الناصر حين وصفه بانه شاب مندفع وضع على عاتقه مسئولية تفوق ما تسمح به مكانته . وذلك بالهجوم على الشيوعيين فى الشرق الاوسط ٠٠ فما كان من عبد الناصر الا ان عاجم موسكو هجوما سافرا ٠٠ وأكد ان الشيوعيين فى جميع انحاء الجمهورية العربية المتحدة سيتم سحقهم بلا رحمه باعتبارهم عملاء لدولة اجنبية »(٢٥) ٠

٠٠ واذا كان خروتشوف قد لمح عبد الناصر ربما بحكمة وربما بتحذير « لا تبصق فى بئر قد تضطر للشرب منها ثانية » فان عبد الناصر قد مضى فى هجومه العنيف على السوفيت وعلى الشيوعيين ٠٠ ويبرر ناتنج ذلك بأن عبد الناصر « اراد ان يعلن للعالم اجمع وللولايات المتحدة خاصة ان سياسته بعد السويس ليست مرتبطة بالايديولوجية الشيوعية ٠٠ »

---

(٢٣) المرجع السابق ـ ص ١٨٠

(٢٤) المرجع السابق ـ ص ١٨٢

(٢٥) انتونى ناتنج ـ ناصر ـ ترجمة شاكر ابراهيم سعيد ـ د. ن ومكتبة الهلال، مكتبة مدبولى بيروت (١٩٨٥) ص ٢٢٠ وما بعدها .